

2019

الإجازة في الشعر الأندلسي

Fahed Slouh

fahed-slouh@hotmail.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan>



Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#)

Recommended Citation

Slouh, Fahed (2019) "الإجازة في الشعر الأندلسي," *Al Jinan الجنان*: Vol. 12 , Article 4.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol12/iss1/4>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Al Jinan الجنان by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aar.edu.jo, marah@aar.edu.jo, dr_ahmad@aar.edu.jo.

أ. فهد عبد الرحمن الصلوح

أستاذ لغة عربية في مدارس الرمال العالمية - الرياض - المملكة العربية السعودية

الإجازة في الشعر الأندلسي

(دراسة فنية معنوية)

DOI: 10.33986/0522-000-012-004

ملخص البحث:

عالج البحث الموضوعَ بتمهيدٍ ومبحثين، عرّف في التمهيد الإجازة في اللغة والشعر، وأورد شروط الإجازة، ثمّ كشف في المبحث الأول عن صور إجازة الأَشْطُر والأبيات بين الأندلسيين، وعرض في المبحث الثاني صور إجازة الأندلسيين أبيات شعراء المشرق.

هدف البحث إلى دراسة الإجازة في الشعر الأندلسي من الناحيتين الفنية والمعنوية، وإلى إظهار قدرة معظم المُجيزين على الإصابة في فنّ الإجازة، وإلى تبيان مدى إسهامهم في إثراء هذا الفن في الشعر العربي.

ومن أجل تحقيق أهداف هذا البحث، فقد تمّ الاعتماد على المنهج التحليلي في تفسير الإجازات، ودراسة نواحيها الفنية.

الكلمات المفتاحية:

(الإجازة، الشعر، أندلسي، مشرقّي).

Abstract:

The objective of the work is to focus on using Al Ijazah style in Andalusian poetry and that by analyzing such scripts from both technical and conceptual aspects, in order to show how Andalusians contributed to enriching this art in Arabic poetry.

The first section of the paper includes the definition of Al Ijazah, its terms of use and how it was applied in both poetry and other scripts in the Arabic literature. Later, examples of using of Al Ijazah in Andalusian poetry

are presented and analyzed. Finally, the paper presents examples of how Andalusians also applied Al Ijazah Style to oriental poetry.

Keywords: Al Ijazah, poem, Andalusian poetry, oriental poetry.

المقدمة :

تعدُّ الإجازة فناً من الفنون الأدبية التي عُرسَتْ بذورها في العصر الجاهلي^(١)، ثمَّ نمتْ، وترعرعتْ في العصرين الإسلامي والأموي^(٢)، حتَّى تفتَّحتْ أزهارها، وفاح أريجها في الأندلس؛ ومعنى هذا أن الأندلسيين لم يبتدعوا فنَّ الإجازة في الشعر العربي، ولم يضعوا اللبنة الأولى فيه، وإنما أكملوا بناء المشاركة بلبنات، تؤكِّد الروابط الأدبية الوشيجة بينهما، وتبرز تأثرهم بأحد روافد الثقافة المشرقية، وإعجابهم به، وتظهر محاولتهم الحثيثة في التوسع في هذا الفن، ومدِّهم في أطنا به.

ولا يعيننا في هذا المقام إحصاء كلِّ ما قيل في الإجازة في الشعر الأندلسي.. فلو قمنا بذلك لطلال بنا الحديث، ولأفضى إلى السامة والضجر، وحسبنا تقديم نماذج من هذا الفن البديع، ودراستها، تغنينا عن الإطالة دون مزيد من الفائدة، وترسم صورة لإبداع الأندلسيين في هذا الفن العربي الفريد.

أهمية البحث:

- تظهر أهمية هذا البحث في أنه:
- يوضِّح معنى الإجازة في اللغة والشعر.
- يُحدِّد شروط الإجازة في الشعر.
- يُبرِّز صورَ إجازة الأشطر والأبيات بين شعراء الأندلس، وفي العهود الأندلسية المختلفة.
- يُبرِّز صورَ إجازة شعراء الأندلس أبيات شعراء المشرق.
- يسدُّ فراغاً في البحوث الأدبية في المكتبة الأندلسية.

إشكالية البحث :

تبدو الإشكالية في عدم إدراك البعض صعوبة إجازة الشعر، وأنها تحتاج إلى براعة ونباهة

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر إجازة التوهم البشكري لامرئ القيس في كتاب: ابن رشيق، الحسن، (١٩٨١م) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج٢، ص٩١.

(٢) انظر أيضاً على سبيل المثال لا الحصر إجازة ابنة حسان بن ثابت لأبيها في المصدر نفسه، ج٢، ص٨٩. وإجازة ابن عبد الأعلى لعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - في كتاب: ابن ظافر، علي، (٢٠٠٧م)، بدائع البدائ، ص٤٤.

وبداهة وغير ذلك من الصفات التي لم تتأت إلا لثُلَّة من الشعراء، وأخرى من غير الشعراء في الأندلس، تمكنوا من إجازة الشعر.

كذلك تبدو في عدم إدراك غيرهم كثرة صور إجازة الأَشطر والأبيات في الشعر الأندلسي، وأن الإجازة لم تكن بين الأندلسيين فحسب، وإنما كانت بين الأندلسيين والمشاركة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

بيان مدى إسهام الأندلسيين في إثراء فن الإجازة في الشعر العربي.
تقديم دراسة فنية ومعنوية للإجازة في الشعر الأندلسي.

بيان قدرة جُلّ المُجيزين على الإصابة في الإجازة، وعدم إصابة بعضهم فيها.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث أي دراسة فنية ومعنوية للإجازة في الشعر الأندلسي، ولكن ثمة كتب تطرقت إلى موضوع الإجازة، منها:

بدائع البدائه، لعلي بن ظافر، أفرد هذا الأديب والمؤرخ في كتابه باباً للإجازة أسماه (في بدائع بدائه الإجازة)، قدّم من جملته نماذج للإجازة في الشعر الأندلسي. وقد أفاد البحث من هذه النماذج، فقد انتخب بعضها، وأثبته للقارئ، ثمّ درسه.

دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، للدكتور سعد إسماعيل شلبي، أورد هذا المؤلف في كتابه بعض أخبار الإجازة، وعلّق على قسم منها، وخلص إلى بعض النتائج. وقد أفاد البحث من هذه الأخبار في الاطلاع على بعض ألوان الإجازة، وفي تحفيزنا على البحث عن ألوان أخرى من الإجازة، وفي معرفة مدى احتفاء الأندلسيين بهذا الفنّ، وإقبالهم عليه بمختلف طبقاتهم.

كتاب المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة، لأزاد محمد كريم الباجلاني، قدّم هذا المؤلف في كتابه بعض أمثلة الإجازة في المجالس الشعرية، لكنّه لم يدرسها، فتكفل البحث بدراسة جُلّها.

كتاب المجالس الأدبية في الأندلس، للدكتور عبد الله بن علي بن ثقفان، ذكر الدكتور ابن ثقفان الإجازة من جملة الفصل الثاني الذي أسماه (النشاط الأدبي في المجالس الأدبية)، وعرض نماذج للإجازات في المجالس، وعلّق على جزء منها. وقد أفاد البحث من هذه النماذج المعروضة في التعرف إلى بعض طبقات المُجيزين، وحُسن بلائهم في إجازة الشعر.

جدير بالذكر أن هذه الكتب لم تقدّم دراسةً أصيلةً للإجازة، وإنما ألفت الأضواء عليها، وهذا ما يميز هذا البحث، إذ إنه يُقدّم دراسةً أصيلةً للإجازة في الشعر الأندلسي.

منهج البحث :

أثر البحثُ الاعتماد على المنهج التحليلي، فهو الأكثرُ ملاءمةً في تفسير الإجازات والوقوف على جوانبها الفنية.

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

- مقدمة البحث، وفيها: أهمية البحث ومشكلته وأسئلته وأهدافه والدراسات السابقة ومنهجه وهيكله.

- التمهيد: وفيه بيان لمعنى الإجازة في اللغة والشعر، وذكر لشروطي الإجازة.

- المبحث الأول: الإجازة بين أندلسيين، وتضمّن مطلبين فيهما عدّة صور.

- المبحث الثاني: الإجازة بين أندلسي وآخر مشرقي، وتضمّن أربع صورٍ لإجازة الأندلسيين شعر المشاركة.

- الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات التي خلصَ إليها.

تمهيد: «مفهوم الإجازة في اللغة والشعر»:

الإجازة في اللغة، تعني السّقي. تقول: استجزرت فلاناً فأجازني، إذا سقاك ماءً^(١).

والإجازة في الشعر كما عرفها ابن ظافر هي: «أن ينظم الشاعر على شعر غيره في معناه ما يكون به تمامه وكمال»^(٢).

من الملاحظ تشرّب الإجازة في الشعر بعض المعنى اللغوي، فكأنهم مثّلوا المُستجيز في الشعر بشخص يستسقي الماء، والمُجيز بشخص يسقيه، من خلال تذييله الفكرة والمعنى المبدور من المُستجيز، ومحاولته وضع اللّفق مع لّفقه بتألف وتلاؤم ومثابته.

ومن هنا تبرزُ معاناة المُستجازين «فربما كانوا أكثر معاناة من هؤلاء الذين يرتجلون شعرهم ابتداءً، فإن من السهل على الإنسان أن يكمل أفكاره هو، أما أن يُكلّف تكميل فكرة غيره

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد، (٢٠١٠م)، لسان العرب، مادة: جوز، ج٧، ص١٩٤.

(٢) ابن ظافر، مرجع سابق، ص٤٢.

بما يلائمها، فذلك أمر لا يخلو من صعوبات»^(١).

فإذا ما تمكّنوا من إجازة الشعر المعروف عليهم بكفاءة واقتدار، ومهارة واعتبار، كان ذلك دليلاً على موهبتهم ونبوغهم، ومدعاة إلى الإعجاب بهم، والمكافأة لهم على جدّهم وجهدهم، وسعيهم ودأبهم.

شروط آخر نضيفه على ما اشترطه ابن ظافر في الإجازة - استناداً إلى ما طالعناه في المصادر والمراجع عن هذا الفن - هو أن يُنشئ المُجيز شعره من بحر المجاز وروي نفسه^(٢)، وبذلك يحدث التواءم بين الأوزان، وفي الروي، فضلاً عن الانسجام بين الأفكار والمعاني والألفاظ.

المبحث الأول «الإجازة بين أندلسيين»:

يُقَسَّم هذا المبحث إلى ضربين، أولهما: إجازة الأشطر، والثاني: إجازة الأبيات.

المطلب الأول «إجازة الأشطر»:

عثرنا على ثلاث صور في إجازة الأشطر - فيما أطلعنا عليه في الكتب الأدبية - وهي:

١ - إجازة شطر بشطر:

من الأندلسيين من اكتفى بإجازة الشطر بمثله، كعبيديس الذي أجاز شطر سعيد بن جودي^(٣)، ذكر ابن الأبار أن: «جارية جميلة عرضت له (لسعيد بن جودي) صباحاً في غلالة حمراء وهو خارج إلى مجلسه، لتأخذ عليه الطريق وهي تتنتى في حركتها فقال (من الطويل):

قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرَقِ حُمْرٍ

ثم أعيته الإجازة طول نهاره وقد شغل بها فكره، حتى دخل عليه حاجبه فاستأذن لعبيديس الشاعر الكاتب... فساعة دخل عليه ناداه سعيد:

قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرَقِ حُمْرٍ

فأجابه من قبل أن يجلس:

وَعَهْدِي بِالرِّيحَانِ فِي وَرَقِ حُضْرٍ

(١) د. شلبي، سعد، (١٩٧٣م) دراسات أدبية في الشعر الأندلس، ص ٢٣.

(٢) من رواية نفسه، إن كان الشعر المجاز بيتاً أو أكثر لا شطراً.

(٣) هو أمير البيرة سعيد بن سليمان بن جودي السعدي، كان شجاعاً بطلاً، وفارساً محارباً، وشاعراً محسناً، وخطيباً مصقلاً، قُتِلَ غيلة سنة ٢٨٤هـ. انظر: ابن الخطيب، لسان الدين، (١٩٥٦م)، أعمال الأعلام، ص ٢١، وابن الأبار، محمد، (١٩٨٥م)، الحلة السراء، ج ١، ص ١٥٤-١٥٦.

فُسِّرَ وَأَجْزَلَ صَلْتَهُ»^(١).

جلىَّ إفاضة سعيد بن جودي من الموروث الأدبي المشرقي، بتضمينه شعر أحد كبار شعراء المشرق في قسيمه، مع إحداثه تغييراً يسيراً، يتناسب والموقف الذي حصل. فقد نظر إلى القسيم الثاني من قول أبي العتاهية في جاريته عتبة^(٢) (من الطويل):

وَتَهْتَزُّ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ كَأَنَّهَا قَضِيبٌ مِنَ الرِّيْحَانِ فِي وَرَقِ خُضْرٍ

وأبدل كلمة خُضْرٍ بِحُمْرٍ، ثمَّ أرتج عليه، ولم يستطع إتمام فكرته، وهي: استغرابه من رُؤية غُصْنٍ مِنَ الرِّيْحَانِ مُحَاطٍ بِأَوْرَاقِ حُمْرَاءٍ.. حتى استطاع سعيد إجازته بشطر أتم فكرته، ومعناه: أن ما رآه (سعيد بن جودي) على خلاف المعهود، فالمعهود إحاطته بالأوراق الخضراء لا الحمراء. وفيه نظر كذلك إلى قول أبي العتاهية، وضمن أجزاء من شطره بإجازته. لكن هل أراد سعيد غصن الريحان حقاً؟ بالطبع لا، فقد لجأ إلى أسلوب بلاغي بديع، اصطُح على تسميته (تجاهل العارف)، فهو يعلم أن ما رآه ليس غصناً من الریحان، بل فتاة آدمية برزت أمامه في غلالة حمراء، فخلبت لُبَّهُ. لكنّه تجاهل هذا، لِنُكْتَةِ بلاغية، فراح يتساءل^(٣) مُستغرباً من ظهور غُصْنٍ مِنَ الرِّيْحَانِ مُحَاطٍ بِأَوْرَاقِ حُمْرَاءٍ؟!

كل ذلك لقصد المبالغة في التشبيب بجاريته، فأتى بمحسنٍ معنويٍّ وصورة محسوسة، تموج بالحركة، مادتها من الطبيعة الصامتة. والجميل في إجازة عبيدس تصريحه البيت بختمه بكلمة (خضر)، ومعلوم أن التصريح «سبيل المجيدين من الشعراء»^(٤). وكذلك تديجه بوضعه اللون الأخضر المناسب للأوراق مقابل اللون الأحمر المناسب للباس الجارية.

وليحيى الجزائر^(٥) قريحة صافية، أسعفته في إجازة قسيم الوزير ابن عمار الذي «دخل سَرَ قَسْطَةَ، فبلغه خبر يحيى... السرقسطي، فمر عليه، ولحم خرفانه بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم، وقال (من المنسرح): لَحْمٌ سِبَاطِ الْخَرْفَانِ مَهْزُولٌ

(١) انظر: ابن الأثير، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) فيصل، شكري، (د.ت)، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص ٥٤٧.

(٣) لعله أراد: أفضيب من الريحان في ورق حُمْر أم غير ذلك؟

(٤) الهروط، عبد الحلیم (٢٠١٢م)، دراسات في الأدب الأندلسي، ص ٩١.

(٥) أديب وشاعر سرقسطي، له أشعار مدح بها ملوك بني هود ووزراءهم، عُرف بالجزّار؛ لمزاوته مهنة الجزارة. لم أصل إلى تاريخي ولادته ووفاته. انظر: ابن سعيد، علي، (د.ت)، المُغْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ، ج ٢، ص ٤٤٤، وابن بسام، علي (١٩٩٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، قسم ٢، مع ٢، ص ٩٠٥.

فقال : يَقُولُ يَا مُشْتَرِينَ مَهْ زُولُوا^(١)»^(٢).

ففي قول ابن عمار واصفاً لحم الخرفان الهزيل بين يدي يحيى القصاب، ما يشفُّ عن رغبته في معرفة مدى قدرة يحيى على إتمام المعنى على البديهة، وفي إجازة يحيى لقوله ما يدل على تجاوزه الاختبار بمهارة فائقة، فقد عبّر على لسان اللحم عن تبرُّمه من مشتريه، لا بل دعا عليهم بالهلاك؛ لأنَّهم المُتَسَبِّبون في إزهاق روح الجسد الذي خرج منه، حتى آل إلى هذا الضعف، والمعنى على ما به من الغرابة، لا يخلو من الحذاقة.. وقد استغلَّ لمسة من خلاصة ردِّ العَجْز على الصدرِ بشبه اشتقاق^(٣) أحسن استغلال، لإحداث الاستجابة الفنيَّة لدى المتلقِّي، بواسطة الترجيع الصوتي لبعض الحروف: (ز ، و ، ل)، في آخر كلمة في عَجْز البيت، حسب ورودها في آخر كلمة في صدره، وما يؤدِّيه من جَرَسٍ موسيقيٍّ يثري الجانبَ الإيقاعيَّ في البيت ويتساوَقُ مع المعنى المراد.

ولابن جاح الصباغ^(٤) ذهنٌ متوقِّد، ألهمه بإجازة مصراع ابن عمَّار ارتجالاً، أورد المقرِّي: «أن الوزير أبا بكر بن عمَّار... كان كثير التطلُّب لما يصدر عن أرباب المهن، من الأدب الحسن، فبلغه خبرُ ابن جاح هذا قبل اشتهاؤه، فمر على حانوته وهو أخذ في صباغته، والنيل^(٥) قد جرَّ على يديه ذَيْلاً، وأعاد نهارهما ليلاً، فأراد أن يعلم سرعة خاطره، فأخرج زنده، ويده بيضاء من غير سوء، وأشار إلى يده، وقال (من مجزوء المجتث):

كَمْ بَيِّنَ زَنْدٍ^(٦) وَزَنْدٍ ؟

فقال : مَا بَيِّنَ وَصَلٍ وَصَدِّ

فعجب من حسن ارتجاله، ومبادرة العمل واستعجاله، وجَدَّب بضبِّعه، وبلغ من الإحسان إليه غايةً وسَّعه^(٧). يتضح مما أوردته المقرِّي إعجاب ابن عمار بإجازة الصباغ لمصراعه، ويبدو أن سبب هذا الإعجاب إتمام الصباغ لمعنى شطره بسرعة فائقة، وبطريقة فنية رائعة. فابن عمَّار

(١) في كتاب: ابن ظافر، مرجع سابق، ص ٥٠: يقول للمفلسين منه زولوا.

(٢) المقرِّي، أحمد (١٩٨٨م)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج ٢، ص ٦٠٩.

(٣) بين مهزول وزولوا شبه اشتقاق، من حيث الحروف الأصلية (الزاي واللام). وإن كانا من مصدرين مختلفين مدلولاً. الهُزال: الضَّعف. والزوال: الهلاك.

(٤) شاعر منتجع، يقصد الملوك بالمدايح. انظر: الحميدي، محمد، (١٩٩٧م)، جذوة المقتبس، ص ٣٦٧.

(٥) النيل: جنس نباتات مُعَمَّرَةٌ، تُزْرَع لاستخراج مادة زرقاء للصباغ من ورقها، تسمى النيل، والصباغ نُسَّه. انظر: مجمع

اللغة العربية، المعجم الوسيط، (١٩٧٢م)، مادة: نيل، ج ٢، ص ٩٦٧.

(٦) الزند: موصل طرف الذراع في الكف، والزندان: طرفا عظمي الساعدين. انظر: ابن منظور.

(٧) مرجع سابق، مادة: زند، ج ٤، ص ١٧٩.

تعجب مما أودعه الله - عز وجل - بين الزندين من طاقة كامنة لعمل الأشياء! والصباغ اتخذ من الطباغ المجازي بين لفظتي (وصل وصد)^(٨)، وسيلة فنية للإلماع إلى فائدة تلك الطاقة المودعة بين الزندين في مهنته ، من خلال تعبيره عن إدخال الأشياء في حوض الصباغة بالوصل ، ثم إخراجها منصبة بالصد أو الهجر .

لفظتا (وصل وصد) وردتا في قسيم الصباغ على سبيل المجاز. والمعنى الحقيقي لهما كما يفهم من السياق: (إدخال وإخراج).

وهذا التعبير المجازي في غاية البيان من مُسرِعِ عجلان.

ولابن جاح الصباغ أيضاً خبر آخر، يُؤكِّدُ مقدرته الكبيرة على ارتجال الشعر، ويومئ إلى حدة ذكائه الفني، وسعة خياله، إذ كان من جملة ندماء المُعتمِدِ بن عباد الذين خرجوا للتزهُ معه يوماً، فسابقهم المُعتمِدُ «فجاء فرسه بين البساتين سابقاً، فرأى شجرة تين قد أينعت وأزهرت، وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت، فسدد إليها عصا كانت في يده فأصابها، وثبتت في أعلاها، فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها، والتفت ليخبر من لحقه من أصحابه، فرأى ابن جاح الصباغ أول للاحق به، فقال: أجز (من مجزوء الرجز): كَأَنَّهَا فَوْقَ الْعَصَا

فأجاب مسرعاً: هَامَلةٌ زَنْجِيٌّ عَصَى

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله، وأمر له بجائزة سنية»^(٩).

إنَّ ما يُلحظُ على إجازة الصباغ براعة قلَّ نظيرها في التَّصويرِ الفني، وفي الإفادة من الألفاظ، لاسيَّما بما تكتنزه من دلالاتٍ إيحائية، وفي الإفادة من أثر المحسنات اللفظية.. فقد صورَّ ثمرة التين فوق العصا برأس زنجيِّ عَصَى مولاة، فنال ما يستحقُّه من عقاب، وأفاد من لفظه زنجيِّ - التي مثلت جزءاً من تشكيل الصورة - فرمز بها إلى لون ثمرة التين الأسود. وجمع بين الجنس المستوفى، وردَّ العَجْز على الصِّدر، بإعادة ذكره كلمة (عَصَى) في آخر العَجْز، بنوع^(١٠) ومعنى مختلف عمَّا ورد في آخر الصدر؛ لإيجاد مساحة من مساحات التأثير الفني لدى السامع. ويبدو أنَّه نَجَحَ في ذلك .

وممَّا يسترعي الانتباه أن هذا النوع من الإجازة لم يقتصر على طبقتي الشعراء وأصحاب

(٨) المقرئ، مرجع سابق، مج ٢، ص ٦٠٨.

(٩) ابن ظافر، مرجع سابق، ص ٤٩ - ٥٠.

(١٠) التي في آخر العَجْز (فعل) ماضٍ من العصيان، والتي في آخر الصدر (اسم) للداة التي يُتوكأ عليها، أو يضرب بها.

المهن، بل تعدّى ذلك إلى بعض الجوّاري، كاعتماد الرُّمَيْكِيَّة^(١) التي تمكّنت من إجازة شطر المعتمد^(٢).. وفي هذا برهان على قوة قريحة الأندلسيين بمختلف طبقاتهم، وإبداعهم في هذا المضمار.

٢- إجازة شطر بشطر وبيت:

من المُجيزين من لم يكتفِ بإجازة الشُّطر بآخر، بل أجاز الشُّطر بشطر وبيت، كما فعل أبو عبد الله ابن السُّرَّاج المالقي مع أبي علي الحسن بن الغليظ^(٣)، إذ كانا يوماً على جرية ماء، فقال له أبو علي الحسن بن الغليظ (من الطويل):

شَرِبْنَا عَلَى مَاءٍ كَأَنَّ خَرِيرَهُ
فَقَالَ مُبَادِرًا:

بُكَاءٌ مُحِبٌّ بَانَ عَنْهُ حَيِّبٌ
فَمَنْ كَانَ مَشْغُوفًا كَثِيبًا بِإِنْفِهِ فَإِنِّي مَشْغُوفٌ بِهِ وَكَثِيبٌ^(٤)

فابن الغليظ ذكر الطرف الأول من الصورة الحسيّة (صوت جريان الماء بشدّة)، وأدائها (كأنّ)، وأراد من أبي عبد الله إتمامها بالثاني، فأتمّها على الفور مُبدياً مهارته في التصوير الحسيّ، بتشبيهه ذاك الصوت بصوت بُكاء مُحِبٍّ فارَقَ إلفه. وأتبعه في التعبير عما يُعانيه المُغْرَمُ من تباريح الهوى وألم البعاد عن الحبيب، وأتى بعده بأسلوب الالتفات، فنقل المعنى من صيغة الغائب (فمن كان...) إلى صيغة التكلّم (فإني...)؛ ليبين للسامع أن ذاك المغرم ما هو إلا الشّاعر ذاته، أو ليشير إلى مشابهة حاله - في معاناته وألمه بسبب مفارقتة من يحبّ - حال ذاك المغرم.

«وكان ابنُ القابِلَةِ^(٥)... يوماً مع ابنِ عبادة بالمرية، فنظر إلى غلام وسيم شديد البياض يسبحُ بالبحر، وقد تعلّق بأحدِ المراكب، وبقي نصفُ جسده بالماء، فقال له ابنُ عبادة (من السريع):

(١) جارية المعتمد، وأم أولاده، وهي أم الربيع، وتلقب بالرُّمَيْكِيَّة نسبة لمولاهما رُمَيْك، ومنه ابتاعها المعتمد في أيام أبيه المعتضد. كان مفرط الميل إليها، تُوفيت بأغماط قبل المعتمد. انظر: المقرّي، مرجع سابق، مج ٤، ص ٢١١، وابن

الأبّار، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢-٦٣.

(٢) انظر: إجازتها لشطره في كتاب: المقرّي، مرجع سابق، مج ٤، ص ٢١١.

(٣) صاحب ابن السُّرَّاج ومنادمه، وهما من شعراء ملوك الطوائف. انظر: ابن سعيد، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٤) انظر: ابن بسام، مرجع سابق، قسم ١، مج ٢، ص ٨٧٢.

(٥) هو عبد الله بن القابلة السبتي. لم أصل إلى ترجمة وافية له. انظر: المصدر نفسه، قسم ٤، مج ١، ص ٢٨٠.

أَنْظُرَ إِلَى الْبَدْرِ الَّذِي لَاحَ لَكَ

فقال ابن القابلة :

فِي وَسَطِ اللَّجَّةِ يَجْلُو الْحَلَكُ

وَأَتَّخَذَ الْفَلَكَ مَكَانَ الْفَلَكَ»^(٦).

قَدْ جَعَلَ الْمَاءَ مَكَانَ السَّمَاءِ

لقد عبّر ابن عباد عن جزء من المشهد الذي عاينته (صورة غلام جميل كالبدري)، وانتظر من ابن القابلة إتباعه بالجزء الثاني؛ لإتمام المنظر، فأتبعه مستفيداً من بلاغة الاستعارة، من خلال تناسيه أن هناك غلاماً جميلاً، وإدراته الكلام على عنصر واحد من عناصر الصورة هو البدر، الذي لاح مكتمل النور والحسن وسط الماء على غير العادة، متخذاً من السفينة الجارية في البحر مكاناً له، بدلاً عن مداره في السماء. وكل ذلك التناسي؛ للإيهام أن مدار كلامه على البدر ليس سواه، وفي حقيقة الأمر ما البدر الذي يقصده إلا غلامٌ وسيمٌ خلب لبّه بجماله. وبيّن إفادته أيضاً من فنّ التجنيس، فقد أورد ضرباً منه^(٧) في إجازته، أدت دوراً في إبراز المعاني بصورة فنيّة، وإن فاحت من إحداها رائحة التكلف، وهو الجنس المرّفو الذي عُرف عنه بأنه «لا يكون إلا بعد جهد وتعب ويُبعد عن الطبع والسليقة»^(٨).

ولنزهون^(٩) «بديهة فائقة»^(١٠)، أوحى إليها بإجازة قسيم الكندي^(١١) بقسيم وبيت، متفوّقة على الأعمى المخزومي^(١٢). إذ «دخل الكندي على الأعمى المخزومي، وهي تقرأ عليه، فقال للمخزومي أجيز (من الكامل):

فَأَفْحَمَ الْأَعْمَى وَلَمْ يَحِرْ جَوَاباً.

لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ مَنْ تَكَلَّمَهُ

فَقَالَتْ نَزْهُون:

(٦) انظر: المصدر نفسه، قسم ٤، مج ١، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٧) بين جزء من لفظة (لاح) - حرف الحاء - و(لك)، وبين لفظة (الحلك) جناس مرّفو. وبين الحلك، والفلك جناس لاحق، وبين الفلك والفلك جناس محرّف.

(٨) د. أمين، بكري (١٩٩٩م)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ج ٣، ص ١٢٨.

(٩) هي نزهون بنت القلاعي، إحدى شاعرات غرناطة في المئة السادسة من الهجرة، لها نوادر مشهورة. انظر: ابن سعيد، علي، (١٩٨٧م)، رايات المبرزين وغايات المميزين، ص ١٥٩.

(١٠) انظر: د. شلبي، مرجع سابق، ص ١٢١.

(١١) هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الكندي، من نبهاء شعراء عصره. سكن غرناطة.

(١٢) هو أبو بكر محمد الأعمى المخزومي، بشائر الأندلس انطباعاً وأداة، كان لا يسلم من هجوه أحد. انظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٨.

لَقَدَوْتَ أَخْرَسَ مِنْ خَلَاخِلِهِ^(١)
 الْبَدْرُ يُطْلَعُ مِنْ أَرْزَتِهِ وَالْغُصْنُ يَمْرَحُ فِي غَلَائِلِهِ^(٢).
 ترفع نزهون للأعمى المخزومي الحجاب عن مظاهر حسنها، مبدية مجونها، وتوازن إيقاعياً
 بين أجزاء شطريها (البدر والغصن، ويطلع ويمرح، ومن وفي، وأرزته وغلائله). ويضفي هذا على
 الكلام رونقاً وروعة، ويحقق تآلفاً مع المعنى الذي أرادت إيصاله بسهولة ووضوح.
 واللافت للنظر في هذا المدار تمكن ابن عبدون من إجازة مصراع مؤدبه
 بمصراع وبيت، وسنّه إذ ذاك ثلاث عشرة سنة^(٣). وفي هذا دلالة على امتلاك بعض الأندلسيين
 مواهب فائقة في قرض الشعر وإجازته منذ نعومة أظفارهم.

٣ - إجازة شطر بشطر وثلاثة أبيات :

من المعجزين من أجاز الشطر بمثله، وبثلاثة أبيات، كالشاعر يحيى الغزال الذي دخل على
 الأمير عبد الرحمن بن الحكم «فقال الأمير (من الكامل):

جَاءَ الْغَزَالُ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ

فقال له الوزير: أجز ما بدأ به الأمير، فقال الغزال:

قَالَ الْأَمِيرُ مُدَاعِبًا بِمَقَالِهِ جَاءَ الْغَزَالُ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ
 أَيْنَ الْجَمَالُ مِنْ امْرِيٍّ أَرَبَى عَلَى مَتَعَدِّدِ السَّبْعِينَ مِنْ أَحْوَالِهِ
 وَهَلِ الْجَمَالُ لَهُ؟ الْجَمَالُ مِنْ امْرِيٍّ أَلْقَاهُ رَبُّ الدَّهْرِ فِي أَغْلَالِهِ
 وَأَعَادَهُ مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ^(٤) بِلَى وَأَحَالَ رَوْنَقَ وَجْهِهِ عَنْ حَالِهِ^(٥).

لقد أذكت ممازحة الأمير للحكم للغزال - بعد أن جاوز سنَّ السبعين - جذوة الحسرة
 في قلبه ووجدانه ، على اندثار عهد شبابه النضير، وانطماس معالم جماله المُستطير، بفعل
 صُروفِ الدهر التي لم تبتق ولم تذر إلا شحوب الوجه وخور الجسد. ومن الملاحظ توظيف

(١) خلاخل: مفردهما: خلخال. والخلخال: حلية كالسوار تلبسها النساء في أرجلهن. ويقال ثوبٌ خلخالٌ: رقيق. انظر: مجمع اللغة
 العربية، مرجع سابق، مادة: خلخل، ج١، ص٢٤٩. لعلها أرادت التعبير عن رفقتها بذكرها لخلخالها لا ما تلبسه برجلها.

(٢) انظر: ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص١٢١.

(٣) انظر: المراكشي، عبد الواحد، (٢٠٠٦م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٦٨-٦٩.

(٤) جد الشيء جدّة: صار جديداً، نقيض الخلق. انظر: الجوهري، إسماعيل (١٩٩٠م)، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة: جدّد،
 ج٢، ص٤٥٤.

(٥) ابن عذاري، أحمد، (٢٠١٣م)، البيان المغرب، مج٢، ص١٠٨.

الغزال الثنائية الضدية المتلاحقة بين (جِدَّتْه وِلي)؛ للدلالة على سرعة الدهر في تبديل حاله من القوَّة والنضارة إلى الضَّعْف والذبول، وللتعبير عن قسوته. وكذلك توظيفه الجنس المُطَرَّف بين (أحال وحاله)؛ للدلالة على تغيُّر هيئة وجهه عمَّا كان عليه من البهاء والحُسْن إلى هيئة أخرى. وها هو ذا الوزير أبو عامر بن شهيد يُدعى إلى مجلس فيه لُمَّة من أصحابه، والوزير أبو جعفر بن عباس، فيمضي إليه، فيقول له أحد أصحابه^(١): «إن الوزير (أي: أبا جعفر) حضره قسيم، وهو يسألنا إجازته، فعلمت أنني المراد، فاستشدته، فأنشد (من الكامل): مَرَضُ الْجَفُونِ^(٢) وَلَثَغَةُ فِي الْمَطِّقِ فقلت لمن حضر: لا تجهدوا أنفسكم، فما المراد غيري، ثم أخذت الدواة فكتبت:

مَنْ لِي بِالثَّغِ لَا يَزَالُ حَدِيثُهُ سَبَبَانِ جَرًّا عَشِقَ مَنْ لَمْ يَعْشِقِ
يُنْبِي فَيَنْبُو فِي الْكَلَامِ لِسَانُهُ يُذَكِّي عَلَى الْأَحْشَاءِ جَمْرَةَ مُحْرِقِ
لَا يُعِشُ الْأَلْفَاظَ مِنْ عَثْرَاتِهَا فَكَأَنَّهُ مِنْ خَمَرِ عَيْنَيْهِ سَقِي
وَلَوْ أَنَّهَا كُتِبَتْ لَهُ فِي مُهْرَقِ^(٣).

وصف الوزير أبو جعفر عيون فتاة ما، بصفة مُستحسنة (بالمراس) ، وذكر صفة مُستكرهة في كلامها (اللثغة) ، وأراد من ابن شهيد أن ينظم في هذا المعنى ، اختباراً لسرعة بديهته ، وصفاء ملكته ، فنظم جامعاً بين الصفتين في حكم واحد ، وهو كونهما سبباً عشقه لها ، فالمُستكره عند غيره مستحبُّ عنده ، ولا سيَّما أنه لا يزال يوقد جذوة الحب في داخله. والمُتبصِّر في إجازة ابن شهيد يجد أنه استطاع تخطي الاختبار بما يدل على موهبته الشعرية ، ومقدرته الجيدة على النظم بديهة في الموضوع نفسه ، وإن لم يرض أبو جعفر بما جاء به على البديهة^(٤).

المطلب الثاني: «إجازة الأبيات»:

عشرنا على خمسٍ صورٍ في إجازة الأبيات.

١- إجازة بيت بيت:

أظهرت بعض الجوارى والحرائر المُتأدِّبات موهبتهنَّ وحضور بديهتهنَّ في إجازة الشعر.

(١) انظر: المقري ، مرجع سابق ، مج ٢ ، ص ٦١٠ - ٦١١ ، بتصرف .

(٢) في كلمة (الجفون) ، مجاز مرسل ، علاقته المحلية ، حيث ذكر الشاعر المحلُّ (الجفون) ، وأراد الحال فيه ، وهي (العيون) ، يدل على ذلك تغني الشعراء بالعيون المراض . أي : الفاترة أو الداللة ، وقصدهم ما تبديه العيون من غنج في النظر .

(٣) انظر: المقري ، مرجع سابق ، مج ٢ ، ص ٦١١ .

(٤) انظر: المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ٦١١ .

فمن الجوّاري غاية المُنَى^(١) التي «أدبها... سيدها و قدّم بها إلى المعتصم، فأراد اختبارها»^(٢)، فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: غاية المُنَى، فقال لها أجيّزي (مجزوء الخفيف):

اسْأَلُوا غَايَةَ الْمُنَى^(٣) مَنْ كَسَا جِسْمِي الضَّنَى
فَقَالَتْ: وَأَرَأَيْتِي مُوَلَّهًا سَيَّةُؤُلُ الْهُوَى أَنَا

فاشترها منه بمئة ألف درهم وكانت محظية عنده إلى أن ماتت»^(٤).

إجابة واضحة ومُرَكَّزة وسريعة من غاية المُنَى على لسان الهوى، عن السؤال الذي سأله المعتصم، مهّدت لها الطريق، لأن تصبح الجارية المُفضَّلة على غيرها في المحبَّة عنده، حتى انتضاء أجلها.

وفي مجلس ابن طاهر القيسي^(٥) «جرى ذكر سلطان المغرب بينه وبين قينة... فقال (من الطويل):

إِمَامٌ تَهَاوَى فِي الْأَثْمَةِ فَضْلُهُ فَاصْبَحَ مِنَّا النَّوْعُ يَفْخَرُ بِالشَّخْصِ
وقالت القينة:

تَكَامَلَ حَتَّى جَلَّ عَنْ وَصْفٍ وَاصِفٍ وَأَبْدَى لَنَا مَا فِي الْأَنَامِ مِنَ النَّقْصِ^(٦).

مُدِحُ سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ بِصَفْتَيْنِ، الْأُولَى: الْإِحْسَانِ، وَهَذِهِ عَزَاهَا الْمُسْتَجِيزُ إِلَيْهِ، وَالثَّانِيَّةُ: الْكَمَالِ، وَهَذِهِ نَسَبَتْهَا الْمُجِيزَةُ إِلَيْهِ. وَفِي سِيَاقِ هَذِهِ الْإِجَازَةِ أَتَتْ الْقَيْنَةُ بِالطَّبَاقِ، بَيْنَ (تَكَامَلِ وَالنَّقْصِ)، لِلتَّبَعِيرِ عَنِ التَّبَايُنِ بَيْنَ الْمَمْدُوحِ، الْمُسْتَمِّمِ بِالْكَمَالِ، وَعَمُومِ الْبَشَرِ، الْمُسْتَمِّمِينَ بِالنَّقْصِ. وَنَرَى أَنَّهَا غَالَتْ فَيَمَّا نَسَبَتْهُ إِلَى الْمَمْدُوحِ غُلُوءًا مَرْفُوضًا، فَالْكَمَالُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالْبَشَرُ جَمِيعًا يَعْتَرِيهِمُ النَّقْصُ.

ومن الحرائر قسmonة^(٧)، ها هي ذي تُجيز بيت أبيها إسماعيل اليهودي «في حذق

(١) جارية أندلسية متأدبة متخرجة في فنون الغناء، لها صوت حسن. انظر: العاملي، زينب، (د-ت)، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ص ٣٥٥.

(٢) في كتاب: المقري، مرجع سابق، مج ٤، ص ٢٨٧: الذي اختبرها ابن الفراء الخطيب بأمر من المعتصم بن صُمّاح.

(٣) في: المصدر نفسه، مج ٤، ص ٢٨٧: سل هوى غاية المُنَى .

(٤) العاملي، مرجع سابق، ص ٣٥٦.

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسي، من أهل مرسية، ورئيسها في الفتنة، توفي بمراكش سنة ٥٧٤هـ. انظر: ابن الأبار، محمد، (١٩٩٥م)، التكملة لكتاب الصلة، ج ٢، ص ٤٧.

(٦) انظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٧) شاعرة غرناطية عاشت في القرن السابع، اعتنى أبوها بتأديبها. انظر: المقري، مرجع سابق، مج ٢، ص ٥٣٠، والشكعة، مصطفى، (١٩٨٦م)، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص ٢٣٤.

ومهارة»^(١). إذ «قال لها أبوها يوماً : أجزبي (من الكامل):

لِي صَاحِبٌ ذُو مُهَجَةٍ قَدْ قَابَلَتْ نَعْمَى بِظُلْمٍ وَاسْتَحَلَّتْ جُرْمَهَا

ففكرت غير كثير وقالت:

كَالشَّمْسِ مِنْهَا الْبَدْرُ يَقْبَسُ نُورَهُ أَبْدَأُ وَيَكْسِفُ بَعْدَ ذَلِكَ جُرْمَهَا»^(٢).

فإسماعيل يشكو إلى ابنته سوء صنيع صاحبه الذي قابل إحسانه بالإساءة مستحلاً إياها. وقسمونة تلجأ إلى التشبيه التمثيلي (غير الحسي)، لتقرير المعنى - معنى سوء فعل صاحبه المقابل للإحسان بالإساءة - وتثبيته في النفس^(٣)، فتشبهه حال أبيها المحسن مع صاحبه المسيء بحال الشمس المضيئة مع القمر المنير، فالشمس تمنح القمر النور أبداً، لكنه لا يرضى فضلها هذا، ويقابلها بالبحود، فيحجبها، ويذهب ضوءها. لقد أظهرت هذه الإجازة براعة قسمونة، وقدرتها على الإتيان بالصور المتفردة المبتكرة، وتصريف القول والتفنن به. وواضح إفادتها من علم الفلك، فقد استمدت مادة صورتها منه، وهذه الإفادة تعكس سعة ثقافتها، والتطور الذي شهدته الأندلس في هذا الفن.

وليس معنى ما أوردناه في هذا المجال أن الجواري والحرائر فقط هن من اقتصن بهذا النوع من الإجازة، فالشعراء كذلك كان لهم إبداع فيه^(٤). بل تجاوز ذلك إلى بعض النقاشين^(٥).

٢- إجازة بيت بأكثر من بيت:

ورد في كتب الأدب وافر من الأخبار المتعلقة بهذا النوع من الإجازة، اكتفينا بدراسة اثنين منها، وأومأنا إلى البقية مع نهاية الدراسة في هذه الناحية. ذكر ابن عذاري أن الأمير عبد الرحمن الناصر، قال بهجوزيره أبا القاسم لباً (من السريع):

«لُبُّ أَبُو الْقَاسِمِ ذُو لِحْيَةٍ طَوِيلَةٍ فِي طُولِهَا مِئْلٌ

ثم قال لابن جهور^(٦): لا بد لك من تذييل هذا البيت، فدع الاعتذار. فقال ابن جهور مديلاً

بيت الناصر:

(١) انظر: الشكعة، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

(٢) انظر: المقرئ، مرجع سابق، مج ٣، ص ٥٣٠.

(٣) انظر: العاكوب، عيسى، (٢٠٠٠ م)، المفصل في علوم البلاغة، ص ٢٩٩.

(٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر: إجازة عبد الله بن الشمر للأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، وإجازة عبد الجليل بن وهبون للمعمد بن عباد: في كتابي: ابن سعيد، المغرب، ج ١، ص ٤٧، والمقرئ، مرجع سابق، مج ٤، ص ٩٢.

(٥) انظر إجازة أحد النقاشين لصهيب بن منيع في كتاب: الضبي، أحمد (١٩٩٧ م)، بغية الملتمس، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(٦) هو عبد الملك بن جهور، يكنى أبا مروان، وزير وشاعر وكاتب. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

وَعَرَضُهَا مِيْلَانِ إِنْ كُسِّرَتْ وَالْعَقْلُ مَأْفُونٌ وَمَدْخُولٌ
لَوْ أَنَّهُ احْتِاجٌ إِلَى غَسَلِهَا لَمْ يَكْفِهِ فِي غَسَلِهَا النَّيْلُ
فضحك الناصر...»^(١).

يقابل ابن جهور مغلاة الناصر في تقدير طول لحية لبِّ بميل ، بمغلاة في تقدير عرضها بميلين ، إلى حد أنه يحتاج إلى نهر أكبر من النيل لغسلها ، ويبدو أن القولين جاء في سياق مداعبة الوزير لبِّ ، وقد أجاد ابن جهور في إصابة الغرض في صميمه .

وأورد أبو الوليد الحميري^(٢) أن أبا عامر بن مسلمة^(٣) كتب إلى أبي بكر بن القوطية^(٤) ، وبين يديه ورد وسوسن ونيلوفر ، يسأله وصفاها (من الكامل) :

«وَتَلَاثَةٌ لَمَّا اجْتَمَعْنَ بِمَجْلِسِ نَبَّهْنَ مِنِّي هِمَّةً لَمْ تَعْسِ
فأضاف أبو بكر إليه بديهة أبياتاً سرية تعجز من رامها روية ، وبعث بها إليه . وهي :

وَدَعَوْنَ حَيِّي عَلَى الصَّبُوحِ فَسَقَنَنِي بَدَعَائِهِنَّ إِلَى لِقَاءِ الْأَكْـوَسِ
وَرَدَّ كَمَثَلِ دَمِ الْوَرِيدِ وَسَوْسَنٍ غَضُّ بَسْوَسيِّ الْغَلَائِلِ مُكْتَسِ
وَيَزِيئُهُ نَيْلُوفَرٌ أَوْ رَاقِهِ وَرَقٌّ جَرَى مِنْ فَوْقِ أَخْضَرِ أَمْلَسِ
فَإِذَا سَرَتْ أَنْفَاسُهَا لَكَ أَبْرَاتُ بِلَطِيفِ رِيَاهَا عَلِيلِ الْأَنْسِ
الْوَرْدِ وَالسَّوْسَانِ وَالنَّيْلُوفَرِ أَرَجُ الْمُشَمِّ مَحْرَكِي وَمَوْسِي
فَاقَتْ بِحُسْنِ رَوَاتِهَا^(٥) وَأَرِيحَهَا فِيهَا مِنَ النُّوَارِ أَعْمُرَ مَجْلِسِي^(٦) .

تبدأ إجازة أبي بكر بإضفاء السمات الإنسانية على ثلاثة أشياء : الورد والسوسن والريحان ، فيعزو إليهن المناداة للإقبال على شراب الصباح ، فيستجيب لندائهن أبو عامر ، ومن ثم ينتقل

(١) انظر: ابن عذاري، مرجع سابق، مج ٢، ص ٢١٠.

(٢) هو إسماعيل بن محمد بن عامر الإشبيلي، وزير وكاتب ، توفي نحو سنة ٤٤٠هـ بإشبيلية، قتل المعتمد بن عباد، ابن سبع وعشرين سنة. انظر: الضبي، مرجع سابق ، ص ١٩٤، وابن سعيد ، المغرب ، ج ١، ص ٢٥٠.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة، وزير وأديب وعالم وشاعر، هاجر من قرطبة إلى إشبيلية للمعتضد بن عباد، وندم لما راه من استحالته ، فداراه مدة حياته. انظر : الحميدي، مرجع سابق ، ص ٥٩، وابن سعيد، المغرب ، ج ١، ص ٩٦-٩٧.

(٤) صاحب الشرطة، من أهل إشبيلية، أديب وشاعر، كان أحد خواص المعتضد بن عباد. انظر: الحميدي، مرجع سابق ، ص ٣٥٦، وابن سعيد، رايات المبرزين وغايات المميزين، ص ٥٤.

(٥) رؤاء : منظر. انظر: الجوهري، مصدر سابق، مادة : روي، ج ٦، ص ٢٣٦٥.

(٦) أبو الوليد الحميري، إسماعيل ، (١٩٨٧م) ، البديع في وصف الربيع، قسم ٢، ص ٤٢.

إلى وصفهنّ، فالوردُ أحمر غامق مثل دم الوريد، والسُّوسن نضر طريٌّ مُكْتَسٍ بالزهور الجذّابة، والنيلوفرٌ يحمل أوراقاً كثيفة، نمت من فوق ساقٍ خضراء ناعمة ليّنة، وفي البيتين ما قبل الأخير يُعبّر عن مدى تأثير رائحتها الطيبة في النفوس حال شمّها - فهي تُبرئها من عللها - وفي نفسه، فهي تُحرّك طبعه، وتثير قريحته، وفي الأخير يُركّز الحديث على حسن منظرها، وطيب رائحتها الفائقين، وعلى ما اشتملته من زهر.

وتتكتشف في هذه الإجازة براعة أبي بكر في القول في فن الوصف، لا سيّما أنه جاء على البديهة، وتشير إلى تمكنه من ناصية الشعر، وربما هذا وذاك وراء إبداء الحميري إعجابه بها^(١).

٣- إجازة بيت وشرط بشرط أو بشرط وبيت :

قام بعض الشعراء بإجازة البيت والشرط بشرط، وبعضهم أجازهما بشرط وبيت، فأما من أجاز بشرط فقط، فهو أبو عمرو الكلبي^(٢)، سُمِعَ أَنَّهُ قَالَ : « كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ أَبِي عَمْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ ، فَأَتَاهُ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِهِ طَبِقٌ فِيهِ أَنْيَابٌ مِنْ قَصَبِ السُّكَّرِ ، وَكُتَابٌ مَعَهُ ، فَحَوَّلَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْكِتَابَ ، وَجَاوَبَهُ بِبَدِيهَةٍ وَكُتِبَ فِي الْجَوَابِ (مِنْ الْبَسِيطِ) :

بَعَثْتُ يَا سَيِّدِي حُلُوَ الْأَنْيَابِ^(٣) عَذَبَ الْمَذَاقَةَ مُخَضَّرَ الْجَلَابِيبِ
كَأَنَّمَا الْعَسَلُ الْمَادِي شِيْبَ بِهِ

قال الكلبي : ثم توقف، فقال : يا كلبى أجز هذا البيت، فإني لا أجد له تماماً، فقلت :

لَا بَلَّ يَزِيدُ عَلَى الْمَادِي فِي الطَّيِّبِ

فقال : أحسنت يا كلبى...^(٤). يُخَاطَبُ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ صَدِيقَهُ مُعَبِّراً عَنْ شُكْرِهِ لَهُ ، لَمَّا وَصَلَهُ مِنْهُ مِنْ أَنْيَابِ قَصَبٍ ، مُشْتَمَلَةً بِأَثْوَابِ خَضْرَاءَ ، حُلُوَّةٍ طَيِّبَةٍ ، كَأَنَّ الْعَسَلَ الْأَبْيَضَ الرَّقِيقَ خُلِطَ بِهَا ، فَأَلَّتْ إِلَى هَذَا الطَّعْمِ .. وَالْكَلْبِيُّ يُوظَّفُ الْحَرْفَ (بَل) تَوْظِيفاً ذَكِيّاً ، لِإِبْطَالِ وَتَقْضِ مَعْنَى الشُّطْرِ الَّذِي قَبْلَهُ - الْمُعَبِّرُ عَنْهُ أَنْفَاءً - وَلِلرَّدِّ عَلَى مَا بَعْدَهُ ، وَهُوَ أَنَّ أَنْيَابِ الْقَصَبِ أَطْيَبُ

(١) ثمة إجازات أخرى في هذا المضمار، كإجازة أبي محمد غانم بن وليد، لعتيق المغني المهدي، وإجازة أبي الوليد النحلي للمعتمد بن عباد، وإجازة أبي القاسم بن مرزقان للمعتمد أيضاً، وإجازة الوزير أبي محمد عبد الرحمن بن مالك لأبي الفتح بن خاقان. انظر: ابن بسام، مرجع سابق، قسم ١، مج ٢، ص ٨٥٩، وقسم ٢، مج ٢، ص ٨١٠-٨١١، والمقري، مرجع سابق، مج ٢، ص ٦١٤، وابن خاقان، الفتح، (١٩٨٩م)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٢) أديب وشاعر من أصحاب أبي عمر بن عبد ربه. انظر: الحميدي، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

(٣) الأنابيب: مفرداها: الأنبوب. وهو: ما بين العقدين في القصب والقنأ. انظر: مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، مادة:

نبيب، ج ٢، ص ٨٩٦.

(٤) ابن ظافر، مرجع سابق، ص ٨٠.

طعماً من العسل . ويُشَفُّ من تعليق ابن عبد ربّه على قول الكليبي إعجابه بإجازته؛ لأنها صدرت عن سجية، وعفو خاطر دون تكلف، أو إجهاد للقريحة.

وأما من أجاز بشطر وبيت، فهو علي بن عبد الله^(١)، أجاز الأمير عبد الله^(٢)، الذي أشد في رجل جليل^(٣)، دخل عليه يوماً، وكان عظيم اللحية (من الرجز):

مَعْلُوفَةٌ كَأَنَّهَا جَوَالِقُ^(٤) نَكَدَاءُ^(٥) لَا بَارَكَ فِيهَا الْخَالِقُ
لِلْقَمَلِ فِي حَافَتِهَا تَقَانِقُ^(٦)

فزاد علي بن عبد الله :

فِيهَا لِبُلُوغِي^(٧) الْمَتَكَا مَرَاتِقُ
وَفِي أَحْتِدَامِ الصَّيْفِ ظِلُّ رَائِقُ إِنَّ الَّذِي يَحْمِلُهَا لَمَائِقُ^(٨).

فالأمير المذكور يُعْرَضُ بالوزير سليمان بن وانسوس البربري، فهو ذو لحية كبيرة - كوعاء من صوف - جالبة للشوّم، حمالة للقمل الكريه. وعلي بن عبد الله يزيد على ما ذكره الأمير عن القمل، أنه يُرافِقُ سليمان إلى المتكأ، ويُعبّر على سبيل التهكم عن إعجابه بظلّ لحيته الظليل الذي يقيه شدة لفحة الصّيف، ويختم أن الذي يحمل هذه اللحية أحق.

لا شك أن القولين أتيا في معرض الهزل، لكن إفراطهما به، أغضب سليمان^(٩)، وحق له ذلك. وقد بدت شاعرية المُستجيز بتصرّيعه المطلع، وكذلك المُجيز بتكفله بتصرّيع البيتين الثاني والثالث.

بقيت صورتان^(١٠) لإجازة الأبيات، اكتفينا بالإلماع إليها، وسوق مثالين لكل منهما.

(١) لم أظفر بترجمة له.

(٢) هو عبد الله بن محمد، سابع أمراء بني أمية في الأندلس، كان وادعاً لا يشرب الخمر، وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن، ولد سنة ٢٢٠هـ، وتوفي سنة ٣٠٠هـ. انظر: الضبي، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) هو الوزير سليمان بن وانسوس، من رؤساء البربر. انظر: الحميدي، مرجع سابق، ص ١٩٩.

(٤) جوالق: وعاء من صوف أو شعر. جمعها: جوالق، وجواليق. انظر: مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٨-١٤٩.

(٥) نكداء: النكد: الشوّم. (لعله أراد جالبة للشوّم). انظر: ابن منظور، مرجع سابق، مادة: نكد، ج ٤، ص ٤٢٨.

(٦) تقانق: نَقُّ الضَّفدِعِ والعَرَبِ. أي: صَوْتٌ. انظر: الجوهري، مرجع سابق، مادة: نقق، ج ٤، ص ١٥٦٠.

(٧) في كتاب: الضبي، مرجع سابق، ص ٢٦٠: فيها لباعي ...، وبه يستقيم الوزن.

(٨) انظر: الحميدي، مرجع سابق، ص ١٩٩.

(٩) انظر: المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(١٠) الصورة الأولى: (إجازة بيتين بيت)، كإجازة الأمير عبد الرحمن الناصر لإحدى جواريه، وإجازة ابن دراج القسطلبي لأبي عبد الله المعيطي. انظر: ابن سعيد، المغرب، ج ١، ص ١٨٢، والضبي، مرجع سابق، ص ٢٢٦. والصورة الثانية: (إجازة بيتين بأكثر من بيت)، كإجازة أبي محمد غانم بن وليد لأحدهم، وإجازة عبد الجليل بن وهبون لأبي إسحاق إبراهيم بن =

المبحث الثاني: «الإجازة بين أندلسي وآخر مشرقى»:

فرضت مناسبات عديدة على الأندلسيين إجازة أبيات المشاركة، أجملناها في أربع صور.

١- إجازة بيت بثلاثة أبيات:

عثرنا في هذا المدار على خبر رواه ابن ظافر، قال: «غني يوماً بين يدي العالي الإدريسي^(١) بمالقة ببيت لعبد الله بن المعتز (من مجزوء المديد):

هَلْ تَرِيْنَ الْبَدْرَ يَخْتَالُ إِنَّ غَدَتَ لِلسَّيْرِ أَجْمَالُ

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقي^(٢) بإجازته، فقال بديهة:

إِنَّمَا الْعَالِي إِمَامٌ هُدَى جَلِبَتْ فِي عَصْرِهِ الْخَالُ^(٣)

مَلِكٌ إِقْبَالَ دَوْلَتِهِ لِدَوِي الْأَفْهَامِ إِقْبَالَ

قُلْ لِمَنْ أَكَدَتْ^(٤) مَطَالِبُهُ رَاحَتَاهُ الْجَاهُ وَالْمَالُ^(٥).

ابن المعتز يسأل إحداهن عن حصول رؤيتها للبدر، وهو يتمايل طرباً غداة سير الأجمال، وأبو محمد غانم المالقي يتسرع في التثاء على العالي، وكان حري به أن يتريث، فيسبق التثاء بتذييل الفكرة التي انتهى إليها بيت ابن المعتز - تمايل البدر طرباً غداة سير الأجمال - وذلك بنظم بيت يعبر فيه عن سيرها إلى العالي، ثم ينتقل إلى مدحه، لكنه لم يفعل ذلك، فصارت إجازته غير متساوقة مع فكرة بيت ابن المعتز.

٢- إجازة بيتين ببيت:

من هذا اللون ما ذكر في العقد:

= خفاجة. انظر: ابن بسام، مرجع سابق، قسم ١، مج ٢، ص ٨٥٤، وابن خاقان، مرجع سابق، ص ٧٤٢-٧٤٣.

(١) هو إدريس بن يحيى بن علي بن حمود، بويع له بالخلافة بمالقة بعد أبيه يحيى المعتلي، وتلقب بالعالي، كان فيه رقة ورحمة، لكنه قليل العقل، يقرب السفهاء، ولا يحجب عنهم خطاياهم. انظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٦-٢٧، والذهبي، شمس الدين محمد، (١٩٨٢ م)، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٦٥٧.

(٢) هو غانم بن وليد بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي، من أهل مالقة، فقيه وأستاذ في الآداب وفنونها. توفي سنة ٤٧٠ هـ. انظر: ابن بشكوال، أبو القاسم، (٢٠١٠ م)، الصلة، مج ٢، ص ٧٩، والضبي، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(٣) يبدو أن هناك تصحيحاً في عجز هذا البيت، ولعل الصواب ما ذكره ابن بسام، مرجع سابق، قسم ١، مج ٢، ص ٨٦٣: خليت في عصره الحال. فالعنى يرجعه.

(٤) أكدى: ألح في المسألة. انظر: مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، مادة: كدي. ج ٢، ص ٧٨٠.

(٥) ابن ظافر، مرجع سابق، ص ١٠٣.

«وقال أبو دُلف^(١) (من البسيط):

أَتَى^(٢) أَبُو دُلفَ المُبَدِّي^(٣) بِقَافِيَةٍ جَوَابُهَا يَهْلِكُ الدَّاعِي^(٤) مِنَ الغَيْظِ
مَنْ زَادَ فِيهَا لَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي وَخَاتَمِي، وَالْمَدَى فِيهَا إِلَى القَيْظِ^(٥)

فأجابه ابن عبد ربّه :

قَدْ زِدْتُ فِيهَا وَإِنْ أَضْحَى أَبُو دُلفِ والنَّصُّ قَدْ أَشْرَفَتْ مِنْهُ عَلَى الغَيْظِ^(٦)»^(٧).
يتحدّى أبو دُلفَ الشعراء في أن يأتوا بقافيةٍ ثالثةٍ تماثلُ قافيتيَّه المُتجانستين ، مُعتقداً هلاكَ الذي سيحاول ذلك غيظاً ، من عدم قدرته على الإتيان بها . ولئن تمكّن أحدهم من ذلك - في مُدّة حدّدها من وقت إنشاده إلى اشتداد حرار الصَّيفِ أو وسطه - جزاه بسَرْجِه وراحلته وخاتمه . وما جرى عكس ما توقَّعه أبو دُلفَ ، فقد تمكّن ابنُ عبد ربّه من كسب الرُّهان من خلال إتيانه بقافيةٍ مماثلةٍ لقافيتيَّه ، ومن دون أن يكثرَتْ لما سترَكُه من أثر في نفس متحدّيه ، وإن أدّت إلى هلاكه هو غيظاً ؛ لخسارته الرُّهان .

وعلى الرّغم من عدم جريان هذه القوافي على الطُّبع ، بل على التكلّف وكدّ القريحة ، فإنّها متألّفةٌ في صُعبَةٍ نطقها ، وملائمةٌ للمعنى الذي أرادَه كلُّ من الشاعرين .

ومِمّا يتصلُّ بهذا اللّون ، مارواه ابن ظافر : «أن أبا الحسن زريباً المغنّي مولى المهدي المرواني غنى يوماً بين يدي الأمير عبد الرحمن الداخل^(٨) ... بهذين البيتين^(٩) (من الكامل):

قَالَتْ ظَلُومٌ سَمِيئَةٌ الظُّلَمِ: مَا لِي رَأَيْتُكَ نَاحِلَ الجِسْمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ أَنْتَ الخَيْرُ بِمَوْقِعِ السُّهُمِ

(١) هو هاشم بن محمد الخزاعي ، كان بالبصرة للمقتدر بالله سنة ٢٠٥هـ . انظر: المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

(٢) في كتاب ابن ظافر: مرجع سابق ، ص ١٠٥: أنا .

(٣) في المصدر نفسه ، ص ١٠٥: البيادي .

(٤) في المصدر نفسه ، ص ١٠٥: جوابها يعجز الدا هي . وإن صحَّ أنه قال: يَهْلِكُ الدَّاعِي ، فلا جرم أنه استخدم اسم الفاعل : (الدَّاعِي) ، بدلاً من اسم المفعول : (المدعو) ، وقصده : يَهْلِكُ المدعو .

(٥) القَيْظُ : صَمِيم الصَّيْفِ . انظر : مجمع اللغة العربية ، مرجع سابق ، مادة : قَيْظ ، ج ٢ ، ص ٧٧٠ .

(٦) في كتاب: ابن ظافر ، مرجع سابق ، ص ١٠٥: الفيظ . ولعله الصواب ، فالمعنى يُرَجِّحُ ذلك .

(٧) ابن عبد ربّه ، أحمد ، (١٩٨٢ م) ، العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٨) في كتاب : المقرّي ، مرجع سابق ، مج ٢ ، ص ٦١٥: «... بين يدي الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل» .

(٩) نسبهما: المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ٦١٥: إلى أبي العتاهية . ولم أجدهما في ديوان أبي العتاهية ، شرح د. صلاح الدين الهواري ، (٢٠٠٩ م) ، لكن وجدتهما في ديوان العباس بن الأحنف ، شرح : مجيد طراد ، (١٩٩٢ م) ، مُستفيداً من كتاب: الباجلاني ، آزاد ، (٢٠١٢ م) ، المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ، ص ١٣٠ .

فقال عبد الرحمن : هذان البيتان منقطعان ، فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبداع ، فقال عبد الرحمن ابن قزمان^(١٠) بديها :

فَأَجَبْتُهَا وَالِدَمَّعُ مَنْحَدِرٌ مَثَلُ الْجَمَانِ هَوَى مِنْ النُّظْمِ^(١١)
فاستحسنه وأمر له بجائزة^(١٢).

أبو العتاهية أو العباس بن الأحنف يهوى فتاة اسمها ظلوم - وهي كذلك - رآته ذات يوم ضعيفاً هزلياً ، فسألته عن سبب ذلك ؟ فتاداها^(١٣) ؛ لتقبلَ عليه ، وتسمعَ ما لديه ، وقال لها : أنتِ التي أطلقت سهماً من سهام الحُبِّ إلى قلبي ، فأصبته في صميمه. وبذلك يُلِمَعُ لها أن ما أصابه من ضعف وهُزال سببه هيامة بها. يفهم الأمير عبد الرحمن معنى البيتين المُغَنِّيَّين ، ويلاحظ أن ثمة انقطاعاً معنوياً بينهما يجب أن يوصل ، فيسأل الحاضرين ذلك ، فينشد ابن قزمان أو ابن فرناس بيتاً على البديهة ، استهله بلفظة : (فأجبتها) ، وهي مناسبة لابتداء الرد على سؤال ظلوم قبل مناداتها ، وأتبعها بتصوير تألمه من سؤالها ، فكيفَ تجهلُ سبب ضعفه ؟ لقد راحت دُموعه تتساقطُ كتساقطِ حَبِّ اللؤلؤِ مِنَ النُّظْمِ .

ومن هذا اللون إجازة المُعْتَمِدِ بن عبادٍ لبئتين غنياً في مجلسه للشاعر ابن المعتز^(١٤).

٢- إجازة بيتين ببيتين :

درسنا في هذه الصورة خبرين ، الأول : أغفلَ فِيهِ المُجِيزُ شَرْطاً^(١٥) مِنْ شَرْطِي الإِجَازَةِ ، وحقَّقَ الشَّرْطَ الآخَرَ^(١٦) ، روى المقرئ : «ولما غنى زرياب بقوله^(١٧) (من الطويل) :

(١٠) في كتاب: المقرئ، مرجع سابق، مج ٢، ص ٦١٥: فصنع عبيد الله بن فرناس. لم أنته إلى ترجمة له، ولا إلى عبد الرحمن بن قزمان.

(١١) النُّظْمُ: مفردها: النَّظْمُ: الخيط ينظم فيه اللؤلؤ وغيره. انظر: مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، مادة: نظم، ج ٢، ص ٩٢٣.

(١٢) ابن ظافر، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(١٣) بأداة النداء (يا) التي يُنادى بها البعيد. لكن كيف يُناديها بهذه الأداة مع أنها قريبة منه، فهي بجواره يحاوروها ؟ يبدو أنه قام بذلك للإشارة إلى علو منزلتها ، فنزل بُعدَ المنزلة منزلة بُعدِ المكان. انظر ما ذكره العاكوب في: مرجع سابق ، في أغراض تنزيل القريب منزلة البعيد، ص ٢٨٦.

(١٤) انظر الخبر في كتاب: ابن بسام ، مرجع سابق ، قسم ٢، مج ١، ص ١١٥. وفي رسالة: الصلوح، فهد (٢٠١٧م) : أدب المجالس في مملكة إشبيلية «عهد المعتمد بن عباد»، ص ١٢٣.

(١٥) الشرط الأول الذي اشترطه ابن ظافر. وقد أشرنا إليه في التمهيد لهذا البحث، ص ٩٦.

(١٦) الشرط الثاني المُشار إليه في التمهيد أيضاً، ص ٩٦.

(١٧) الشعر لذئ الرُّمَّة. انظر: ديوان ذي الرُّمَّة، شرح: أحمد بسج (١٩٩٥م) ، ص ١٦٣.

وَلَوْلَمْ يُشَقِّنِي الظَّاعِنُونَ لَشَاقِنِي حَمَامٌ تَدَاعَتْ^(١) فِي الدِّيَارِ وَقُوعُ
تَدَاعِينَ^(٢) فَاسْتَبْكِينَ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى نَوَائِحَ مَا تَجَرِي لَهْنِ دُمُوعُ

ذيلها عباس بن فرناس^(٣)، يمدح بعض الرؤساء بديهة، فقال:

شَدَدْتُ بِمَحْمُودٍ يَدَا حِينَ خَانَهَا زَمَانٌ لِأَسْبَابِ الرَّجَاءِ قُطُوعُ
بَنَى لِمَسَاعِي الْجُودِ وَالْمَجْدِ قِبْلَةً إِلَيْهَا جَمِيعُ الْأَجُودِ يَنْ رُكُوعُ^(٤)

ذو الرُّمة عبَّرَ عن أثر الحمام النائح في الدِّيَارِ في إثارة شعوره بالشوق إلى محبوبته الظَّاعنة، وفي سكبهِ الدُّمُوعَ حُزناً على بعادها. وعباس بن فرناس أردفَ تعبيره بيتين مُنقطعين عمَّا قبلهما من جهة المعنى - عبَّرَ فيهما عن مدحه لأحد الرؤساء - ومُتصلين بهما من ناحية استخدام البحر والروي أنصههما.

واستناداً إلى ما ذكرناه نستطيع أن نُقرِّرَ أن المُجيزَ لم يُصَبِّ في تذييل معنى البيتين المُغنيين .

والخبر الثاني: حَقَّقَ فيه المُجيزَ شرطي الإجازة، لكن وقعت إجازته «في وسط الشعر صلةً لمعنى منقطع»^(٥). روى ابن ظافر عن الشيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن علي القرموني، قوله: «أنشد والدي الشيخ أبو الحسن علي بن محمد اليحصبي القرموني^(٦) قول ابن الرومي (مجزوء الكامل):

شَهْرُ الصِّيَامِ مُبَارِكٌ مَا لَمْ يَكُنْ فِي شَهْرِ آبٍ
خَفَّتُ الْعَذَابَ فَصَمَّتْهُ فَوَقَعْتُ فِي نَفْسِ الْعَذَابِ

فقال هذان البيتان منقطعان، ويحتاجان إلى ما يصل بينهما، فقال بديهاً:

الْيَوْمُ فِيهِ كَأَنَّهُ مِنْ طَوْلِهِ يَوْمُ الْحِسَابِ

(١) في ديوان ذي الرُّمة، ص ١٦٢: حَمَامٌ تَغْنِي ...

(٢) في المصدر نفسه، ص ١٦٢: تَجَاوَيْنَ ...

(٣) يُكْنَى أبا القاسم، كان فيلسوفاً حادقاً وشاعراً، وكان كثير الاختراع، احتال في تطيير جُثمانه، فكسا نفسه الريش، فنهباً له أن استطار في الجو، واستقلَّ في الهواء، حتى وقَّع على مسافة بعيدة. توفي سنة ٢٧٤هـ. انظر: الضبي، مرجع سابق، ص ٢٧٨، وابن سعيد، المُغرب، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) المَقْرِي، مرجع سابق، مج ٢، ص ١٢٢.

(٥) ابن ظافر، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٦) لم أطلع على ترجمته. وقد أثبت إجازته في هذا المبحث؛ لأنه أندلسي بدليل نسبته إلى قرمونة المدينة الأندلسية.

وَاللَّيْلُ فِيهِ كَأَنَّهُ لَيَّلُ التَّوَّاصِلِ وَالْعِتَابِ»^(١).

فابن الرومي يزعم أن شهر رمضان مبارك ما لم يأت في شهر آب، وأنه خشى - إن لم يصمه وقد أدركه في آب - عذاب الله في الآخرة، فصامه، فوقع في ذات العذاب في الأولى. والشيخ أبو الحسن القرموني يلحظ بين بيتي ابن الرومي نُغْرَةٌ معنوية يجب أن تُسَدَّ، فيُشَدُّ مذيلاً البيت الأول ببيتين كشف فيهما عن سبب ما ذهب إليه ابن الرومي من زعم، فقد عبّر عن مشقة الصيام في شهر آب، فيومه طويل، وليله قصير؛ ولمزيد من إيضاح طول يومه، وقصر ليله، شبّه طول يومه بطول يوم الحساب، وقصر ليله بقصر ليل التّواصل والعتاب بين الأحباب. ومن الجليّ استخدام أبي الحسن القرموني لزوم ما لا يلزم كما فعل ابن الرومي؛ لإحداث مزيد من التناغم والانسجام في البنية الإيقاعية للأبيات، وكأنّ قائلها واحد.

٤- إجازة بيتين بستة أبيات :

انتهينا في هذه الصورة إلى خير رواه ابن الأثير، قال: «حكى ابن حيان أن موسى بن محمد بن موسى بن حدير^(٢) ... شهد مجلس مذاكرة الأمير عبد الله^(٣) يوماً، وهو حافل بأهل الأدب والمعرفة، وقد أفاضوا فيما كانوا يفيضون فيه من أبواب المذاكرة، حتى مر ذكر الشيب وذمه... فقال لجلسائه: أي شيء ترونه في ذم الشيب أبلغ؟ فلم يحضر أحدهم شيء، إلا موسى بن محمد... فقال: أحسن ما قيل فيه عندي، قول الأوّل (من الطويل):

أَقُولُ لَضَيْفِ الشَّيْبِ إِذْ حَلَّ مَفْرِقِي : نَصِيبِكَ مِنْي جَفْوَةٌ وَقُطُوبُ
حَرَامٌ عَلَيْنَا أَنْ تَتَالَكَ عِنْدَنَا كَرَامَةٌ بَرٌّ أَوْ يَمْسَكَ طِيبُ

فاستحسنهما الأمير، وقال له: اكتبهما يا موسى وزد فيهما، إن كانت فيهما عندك

زيادة... فوصل البيتين بقوله:

فَيَا شَرَّ ضَيْفِ حَلِّ بِي ، وَحُلُولُهُ
وَأَنَّ جَدِيدِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَلِي
فَمَا طِيبُ عَيْشِ الْمَرْءِ إِلَّا شَبَابُهُ
سَأَقْرِيكَ يَا ضَيْفَ الْمَشِيبِ قَرَى الْقَلَى
يُخَبِّرُنِي أَنَّ الْمَمَاتَ قَرِيبُ
وَأَنِّي مِنْ نَوْبِ الشَّبَابِ سَلِيبُ
وَلَيْسَ إِذَا مَا بَانَ عَنْهُ يَطِيبُ
فَمَا لَكَ عِنْدِي فِي سِوَاهُ نَصِيبُ

(١) ابن ظافر، مرجع سابق، ص ١١٠-١١١.

(٢) يُعرف بالزاهد، كان مليح العبارة، يقرض أبياتاً من الشعر حسنة، بديهةً ورويةً. عاصر الأمير عبد الله، وكان يُكثر

مجالسته. انظر: ابن الأثير، الحلة السّيراء، ج ١، ص ١٣٥.

(٣) تقدّمت ترجمته في هامشي.

وَأَبْكِي عَلَى مَا قَدْ مَضَى مِنْ شَبِيبَتِي بُكَاءَ مُحِبٍّ قَدْ جَفَّاهُ حَبِيبُ
مَضَى مُسَلِّمًا لَهْفِي عَلَيْهِ مَدَى الْمَدَى فَلَيْسَ إِلَيَّ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْوُبُ
فسرَّ الأمير عبد الله بما أتى به، وأثنى على قريحته^(١).

عبر الشاعر القديم عن حلول المشيب ضيفاً عنده، وإعراضه عنه، وعبوسه في وجهه، وعدم إكرامه، والإحسان إليه. وموسى ذيل تعبيره بشعر جاء به على لسانه، فنزل هذا الضيف القريب منزلة البعيد، فناده بأداة النداء (يا)، إشارة إلى ازدراؤه له، ووصفه بأنه شرُّ نزل به؛ لينبئه أن موته قريب، وأنه كَبُرَ، وسينتهي وجوده لا محالة. وأردف وصفه بالتعبير عن انعدام طيب العيش بعد انقضاء عهد الشباب، وختم في الأبيات الثلاثة الأخيرة مُعبراً عن بغضه وحقده لضيف المشيب، وعن حُزنه وأساه لمضي عهد الشباب من غير رجعة إلى اليوم الموعود. وقبل الانتقال إلى خاتمة البحث رأيت أن من الضروري التعريف بالتمليط^(٢) - لاتصاله بضم الإجازة، بل لأنه عدُّ نوعاً منها^(٣) - والإيماء إلى نماذج منه^(٤)، وبذلك أسدل الستار على المبحث الثاني.

الخاتمة:

وفي نهاية مطاف الإجازة، نعرض أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وتلونها بالتوصيات:

أ. النتائج:

١. امتلاك معظم المستجازين أذهاناً حاضرة، ومواهب متحفزة، وبدائه فائقة، وحساً فنياً مُرهفاً، كان له دور في تمكّنهم من تخطي الاختبارات الشعرية بالإنشاد في معنى شعر غيرهم، وإتمامه.
٢. عدم اختصاص الإجازات بفئة معينة دون أخرى، فالشعراء كانوا يُجيزون وكذلك الأمراء والوزراء وأصحاب الحرف والفقهاء والحرائر والجواري، حتى بعض الصبيان. ولكن بنسب متفاوتة كان للشعراء القدح المعلن منها.
٣. بروز المعية المُجيزين في استخدام صُروب من البلاغة في إجازاتهم، والإفادة منها.

(١) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) قال ابن رشيق فيه: «هو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيماً وهذا قسيماً لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه». ابن رشيق، مرجع سابق، ج ٢، ص ٩١. وقال ابن ظافر فيه أيضاً: «هو أن يجتمع شاعران فصاعداً على تجريد أفكارهم، وتجريب خواطرهم في العمل في معنى واحد». ابن ظافر، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٣) انظر: ابن رشيق، مرجع سابق، ج ٢، ص ٩١.

(٤) انظر: ابن ظافر، مرجع سابق، ص ١٢١-١٢٤، ١٣٢، ١٥٣-١٥٤، والمقري، مرجع سابق، مج ٣، ص ٥٢٠-٥٢١.

٤. أبدى البحث أن صورَ إجازةِ الأبياتِ أكثرُ من صورِ إجازةِ الأَشْطُرِ.
٥. إجادَةُ جُلِّ المُجِيزِينَ في إجازاتهم ، وتحقيقهم شَرَطِي الإجازةِ في الشُّعرِ.
٦. كَشَفَ البَحْثُ في موضوع الإجازة بين أندلسيٍّ وآخر مشرقي عن رغبة الأندلسيين في مجازاة كبار شعراء المشرق، بل التَّفَوُّقَ عليهم ، وبانت تلك الرغبة من خلال إجازاتهم لأشعارهم، وكشَفَ عن إعجاب واهتمامهم أمرائهم بأشعار المشاركة، فقد كانت تُغنى في مجالسهم.
٧. عدم اقتصار الإجازات على موضوع بعينه، وإنما تنوعت الموضوعات، من غزلٍ ووصفٍ ومدحٍ وشكوى وهجاءٍ وهزلٍ وشُكْرٍ وتحدُّ.

ب. التَّوصِيَّاتُ:

١. يوصي الباحثُ بقيام أحد الباحثين في الأدب العربيِّ بإعدادِ دراسةٍ عن التمليط في الشُّعرِ الأندلسيِّ أو في الشُّعرِ العربيِّ القديم^(١) عامة.
٢. إعداد دراسة عن نشأة الإجازة وصورها في الشُّعرِ العربيِّ القديم حتى انتهاء العصر العباسي.
٣. إجراء دراسة مُقارَنة بين الإجازة في الشُّعرِ المشرقي، والإجازة في الشُّعرِ الأندلسيِّ.

المصادر والمراجع:

١. ابن الأبار، محمد، (١٩٩٥م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: د. عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت.
٢. ابن الأبار، محمد، (١٩٨٥م)، الحُلَّةُ السَّيْرَاءُ، تحقيق: د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
٣. أمين، بكري (١٩٩٩م)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥.
٤. الباجلاني، آزاد، (٢٠١٣م)، المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار غيداء، عمّان.
٥. ابن بسام، علي (١٩٩٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د. إحسان

(١) ابتداء بالعصر الجاهلي، ثم ما يليه من عصور إلى نهاية العصر الأندلسي.

- عباس، دار الثقافة ، بيروت.
٦. ابن بشكوال ، أبو القاسم ، (٢٠١٠م) ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط١ .
٧. الجوهري ، إسماعيل (١٩٩٠م) ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ .
٨. الحميدي ، محمد ، (١٩٩٧م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، تحقيق : د. روحية السويقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ .
٩. ابن الخطيب ، لسان الدين ، (١٩٥٦م) ، أعمال الأعلام ، تحقيق : أ. ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، ط٢ .
١٠. ديوان أبي العتاهية ، شرح د. صلاح الدين الهواري ، (٢٠٠٩م) ، دار الهلال ، بيروت .
١١. ديوان ذي الرمة ، شرح : أحمد بسج ، (١٩٩٥م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ .
١٢. ديوان العباس بن الأحنف ، شرح : مجيد طراد ، (١٩٩٣م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ .
١٣. الذهبي ، شمس الدين محمد ، (١٩٨٥م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : حسين الأسد ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ .
١٤. ابن رشيقي ، الحسن ، (١٩٨١م) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٥ .
١٥. ابن سعيد ، علي ، (١٩٨٧م) ، رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار طلاس ، دمشق ، ط١ .
١٦. ابن سعيد ، علي ، (د. ت) ، المغرب في حلّ المغرب ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ .
١٧. الشعبة ، مصطفى ، (١٩٨٦م) ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٦ .
١٨. شلبي ، سعد ، (١٩٧٣م) ، دراسات أدبية في الشعر الأندلس ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
١٩. الصلوح ، فهد (٢٠١٧م) : أدب المجالس في مملكة إشبيلية «عهد المعتمد بن عباد» ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجنان ، طرابلس ، لبنان .

٢٠. الضَّبِّي، أحمد (١٩٩٧م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: د. روحية السويضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٢١. ابن ظافر، علي، (٢٠٠٧م)، بدائع البدائ، ضبطه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٢٢. العاكوب، عيسى، (٢٠٠٠م)، المفصل في علوم البلاغة العربية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب.
٢٣. العاملي، زينب، (د-ت)، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، مكتبة ابن قتيبة، الكويت.
٢٤. ابن عبد ربّه الأندلسي، أحمد، (١٩٨٣م)، العقد الفريد، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، وعبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٢٥. ابن عذاري، أحمد، (٢٠١٢م)، البيان المغرب، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١.
٢٦. فيصل، شكري، (د-ت)، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، دار الملاح، دمشق.
٢٧. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (١٩٧٢م) المكتبة الإسلامية، استانبول، ط٢.
٢٨. المراكشي، عبد الواحد، (٢٠٠٦م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه: د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط١.
٢٩. المقرئ، أحمد (١٩٨٨م)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
٣٠. ابن منظور، جمال الدين محمد، (٢٠١٠م)، لسان العرب، دار النوادر، الكويت.
٣١. الهروط، عبد الحليم، (٢٠١٢م)، دراسات في الأدب الأندلسي، مطبعة السفير، عمان، ط١.
٣٢. أبو الوليد الحميري، إسماعيل، (١٩٨٧م)، البدع في وصف الربيع، تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدة، ط١.